الفلسطينيون والبحث عن الدولة

لوري أ. براند، **الفلسطينيون في العالم العربي: بناء المؤسسات والبحث عن الدولة**، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١، ٢٩٣ صفحة.

عند الانتهاء من قراءة الكتاب، يشعر القارىء انه أمام عمل مميّز حقاً؛ عمل انحاز بموضوعية الى جانب قضية أخذها على عاتقه وهي مثبتة على غلاف الكتاب: «بناء المؤسسات والبحث عن الدولة»، الذي هو هاجس الحركة الوطنية الفلسطينية منذ انطلاقتها الاخيرة في منتصف عقد الستينات، وصار خيارها حاسماً ومؤكداً، منذ أوائل عقد السبعينات، بعد ان غادرت المقاومة الفلسطينية الاردن وتمركزت في لبنان، وتعزّز هذا النزوع بعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان العام ١٩٨٢، ولكن مع قدر أقل من القوة، بل أكبر من الضعف المادي.

في عملها الهام والمميّز، الذي لم يكن بمقدور المؤلفة ان تقدّمه لولا توفّر تلك الظروف المحيطة والاجواء التي عملت من خلالها والمساعدات التي تلقّتها من الذين اتصلت بهم ـ أفراداً ومؤسسات ـ وبهذا القدر الهائل من المراجع الذي قارب الثلاثمئة مرجع، توزّعت ما بين كتاب ودراسة ودورية ومقابلات شخصية مع أناس وثيقي الصلة بموضوع البحث وتفرّعاته.

غير ان الاساس في نجاح عملها، انما يعود الى الامكانات العلمية التي تتمتع بها كأستاذة للعلاقات الدولية، وباحثة عملت في اطار «الدراسات الفلسطينية»، اضافة الى اتقانها اللغة العربية، ممّا هيّأ لها الدخول الى لبّ القضية ومحاولة فهمها من الداخل، لا مجرد ملامسة قشورها، أو البقاء على ضفاف القضية.

وليس من المبالغة القول، ان المنهج الذي اتبعته المؤلفة، كان موفقاً الى حد كبير. فقد جنّب البحث الاطالة والتكرار من خلال اختيار عينات من «الدول» و«المؤسسات» وادخالها في اطار الدراسة، ولكن سيظل السؤال قائماً في هذا المجال: هل تكفي «العينات» و«المختارات» لاعطاء صورة حقيقية عن دور الفلسطينيين في العالم العربي في «بناء المؤسسات والبحث عن الدولة»؟

للاجابة عن هذا السؤال، خصّصت المؤلفة ثلاثة أقسام تضم اثني عشر فصلاً مضافاً اليها تمهيد تشرح فيه هدف الدراسة ومحتواها بصورة مكثّفة.

ضمّ القسم الاول فصلين، تناول أولهما الشتات الفلسطيني في بدايته، وأسس الهوية الفلسطينية (تعريف الفلسطيني) ثم الحياة والتنظيم في الشتات، والدول المختارة للبحث، اضافة الى الاطار النظري. وبصورة مختصرة، فان الفصل الاول هو تعريفات عامة، وطريقة البحث المعتمدة في تناول العلاقات الفلسطينية ـ العربية في النماذج المختارة (ص ٣ ـ ٢٤). وثانيهما، تناول، بصورة تفصيلية، التطورات التالية للحرب العربية ـ الاسرائيلية في ساحتين أساسيتين: الاردن ومصر وعلاقاتهما مع حكومة عموم فلسطين التي كانت بمثابة رد على الهزيمة العربية في حرب العام ١٩٤٨، ومحاولة لتكريس كيان فلسطيني يواجه الكيان الصهيوني المولود على القسم الاكبر من أرض فلسطين. وقد آلت الارض الفلسطينية غير المحتلة الى الدول المجاورة؛ فخضع قطاع غزة للادارة المصرية، وألحقت الضفة الغربية بالاردن، وانتهت تجربة حكومة عموم فلسطين من دون ان تترك أي اثر لها. وقد عالجت ادارة فلسطين لدى جامعة الدول العربية بعض جوانب القضية الفلسطينية، وحلّت بالتعاون مع الدول العربية، بصورة مؤقتة، موضوع جوازات السفر الفلسطينية. ثم انتقل الكتاب الى بحث أساس